دلالات الحكاية في الكتاب المدرسي: السنة الثالثة ابتدائي نموذجا

The significance of the story in the textbook: the third year of primary school as a model

كريمة بوكرش*

تاريخ الإرسال: 2022/12/29	تاريخ القبول: 06 /2023/10	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

بالإضافة لكونها تُنَمّي الجانب اللغوي والمعرفي للطفل المتعلم، تحوي الحكاية في الكتاب المدرسي العديد من الدلالات التي تتميز بها كل حكاية عن الأخرى، وهذا ما نجدهُ جليّا في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة من المرحلة الابتدائية، مما يدل على عناية واضحة في اختيار الحكايات من أجل أن توافق عنوان كل محور من محاور البرنامج السنوي كالقيم الإنسانية والاجتماعية والثقافية، الهوية الوطنية، الطبيعة والصحة والرياضة، التكنولوجيا والرحلات وغيرها من المحاور. وفي مداخلتي سأركز على الوظائف الدلالية للحكاية في كتاب السنة الثالثة ابتدائي من حيث العتبات وأسماء الشخصيات والألوان والمكان والقيم.

الكلمات المفتاحية: حكاية، وظيفة دلالية، متعلم، تلقي، عتبات.

Abstract:

In addition to developing the linguistic and cognitive aspect of the educated child, the story in the textbook contains many semantic functions that distinguish each story from the other, and this is evident in the Arabic language book for the third year of primary school, which shows a clear care in the selection of tales In order to match the title of each of the themes of the annual program such as human values, social and cultural, national identity, nature, health and sports, technology and trips and other themes.

***Key words**:story, semantic function, learner.*

*جامعة زيان عاشور بالجلفة boukerch.karima@yahoo.fr

المؤلف المرسل: كريمة بوكرش boukerch.karima@yahoo.fr

*** *** ***

مقدمة:

تأخذ الحكاية وضعها الخاص في حياة الطفل، نظرا لما تحويه من طرائق مختلفة من حيث البناء والتشكيل والوظائف الدلالية، فهي –أي الحكاية- نمط تعبيري يقدم عالم الطفل وتصوراته عن نفسه وعن العالم، إنها محاولة لصياغة تجربته وما يحاول معرفته عبر وسيط لفظي وبصري.

ويمكننا أن نقول إن الحكاية محاولة لتشكيل عالم بديل عن العالم الواقعي الذي يعيشه الطفل، ومطلوب منها حين يحويها كتاب مدرسي أن تقدم للطفل المتعلم ما يجب أن يكون عليه هذا العالم.

يتشكل كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة ابتدائي من ثمانية محاور هي: القيم الإنسانية، الحياة الاجتماعية، الهوية الوطنية، الطبيعة والبيئة، الصحة والرياضة، الحياة الثقافية، عالم الابتكار، الأسفار والرحلات، كما يحوي كل محور منها أربعة نصوص أغلبها حكايات، وهو ما يتناسب مع المرحلة العمرية لطفل السنة الثالثة، مما يجعله يستنبط من هذه الحكايات القيم والأساليب والتراكيب النحوية والصيغ الصرفية والظواهر الإملائية ويتمكن من خلالها أيضا من حيازة رصيد لغوي جديد كل مرة.

هذه المحاور الثمانية تحاول أن تغطي أربعة أبعاد، هي البعد الاجتماعي والبعد التاريخي والبعد البيئي والبعد الديني والبعد الحيواني أيضا.

وعليه يمكننا أن نتساءل: كيف تشكلت دلالات الحكاية في كتاب السنة الثالثة ابتدائي من حيث العتبات وأسماء الشخصيات والألوان والمكان والقيم؟

1. الوظيفة الدلالية للعتبات النصية:

العتبات هي أولُ ما يفاجئنا في أي عمل أدبي، سواء كان شعرا أو قصة أو رواية، ويرى سعيد يقطين أن العتبات لم تكن تثير الاهتمام قبل توسع مفهوم النص، هذا الأخير الذي لم يتم التوسع في مفهومه إلا بعد أن تم الوعي والتقدم في التعرف على كل جزئياته وتفاصيله[1].

وتنقسم العتبات إلى عتبات نصية داخلية، وعتبات نصية خارجية، حيث ترتبط العتبات الخارجية بكل ما يحيط بالنص من عوامل خارجية، ويقصد بذلك مثلا المقال الذي يُكتب في جريدة أو إعلان عن نص ما، وهو ما يتيح للقارئ إمكانية التعرف على محتوى النص قبل قراءته، عن طريق منشورات بالجرائد أو المجلات أو البرامج الإذاعية واللقاءات والندوات، مما يجعل العتبات الخارجية بعيدة عن مؤلف النص تماما[2] أما العتبات الداخلية فهي "الفواتح" التي يستهلُّ بها القارئ عملية القراءة، وأول ما يقع عليه البصر من الكتاب، ويعرفه جيرار جينيت بأنه "يشمل بالضرورة كل خطاب مادي، يأخذ موقعه داخل فضاء الكتاب مثل العنوان أو التمهيد ويكون أحيانا مدرجا بين فجوات النص مثل عناوين الفصول أو بعض الإشارات"[3] ويشمل أيضا غلاف الكتاب، بما يحويه من عنوان ولوحة فنية واسم الكاتب، كما يشمل الإهداء والتصدير.

1.1 وظيفة الغلاف الخارجي:

غلاف الكتاب هو أول عتبة يتلقاها القارئ سواء كان المتعلم أو المعلم، وغلاف كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة سنتبينه من خلال الصورة الآتية:

إن الوظيفة الدلالية الرئيسة التي يضطلع بها غلاف الكتاب هي جذب المتعلم ووضعه تماما في أجواء هذا الكتاب بطريقة سينمائية، وأعتقدُ أن غلاف الكتاب يقترب من مفهوم "الجينيريك" أو المقدمة في الفيلم السينمائي أو الرسوم المتحركة، فكما يقدم الجينيريك، عنوان الفيلم و اسم كاتبه ومخرجه وأسماء الممثلين ولقطات من الأحداث وموسيقى واسم المؤسسة المنتجة، يقدم غلاف الكتاب عنوان الكتاب واسم الهيئة المؤلفة وصورة فنية واسم دار النشر، غير أن غلاف الكتاب لا يقدم أسماء الشخصيات التي تقوم بالأدوار، ويمكن أن نضع موسيقى الجينيرك في مقابل الألوان الموجودة على

غلاف الكتاب، فكما تبين موسيقى الجينيريك نوع الفيلم إن كان رومانسيا أو فيلم رعب أو حركة، تقدم الألوان على غلاف كتاب "اللغة العربية" أجواء هذه الكتاب.

يتكون الغلاف الخارجي للكتاب كما نلاحظ في الصورة من:

أولا: عنوان الكتاب (اللغة العربية) يتصدر أسفل الغلاف، بخط أبيض كبير، مكتوب وهو ما يقابل عنوان الفيلم في السينما، **ويحمل وظيفة** المؤشر الجنسي كذلك.

ثانيا: اسم الهيئة المؤلفة (وزارة التربية الوطنية) في أعلى الغلاف، مكتوب بخط أبيض أصغر من حجم الخط الذي كُتب به عنوان الكتاب، وهنا دلالة على أهمية عنوان الكتاب على اسم مؤلفه، واسم المؤلف في أي عمل هو علامة لغوية لا يمكن البحث في وظائفها الدلالية، إذ يحيل على هيئة معينة أو شخص بعينه. وهو ما يقابل اسم كاتب قصة الفيلم ومخرجه.

ثالثا: لوحة الغلاف في الوسط، وهي صورة فوتوغرافية لثلاثة أطفال: بنتان وولد في مكتبة منهمكين في القراءة وهنا دلالة على أهمية القراءة والمطالعة. ويمكن اعتبارها مقابلا للقطات التي يختارها المخرج من الفيلم ليصنع الجينيريك.

رابعا: (الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية) وهو اسم دار النشر ورمزها. وهو ما يقابل اسم الشركة التي أنتجت الفيلم وأنفقت عليه، ويمكن أن نعتبر الناشر في مقابل المنتج.

خامسا: اللون الأخضر الطاغي على الغلاف، مع انحناءات حمراء وبرتقالية وزمردية، تشد نظر المتعلم للكتاب، ويمكن أن نعتبر أن اللون الطاغي على غلاف الكتاب في مقابل موسيقى الجينيريك في الفيلم السينمائي، لأن لهذه الأخيرة –أي موسيقى الجينيريك- وظيفة دلالية لنوع الفيلم، فكما لا يمكن وضع موسيقى هادئة لفيلم حركة أو موسيقى رعب لفيلم رومانسي، فإن للألوان الطاغية على غلاف الرواية وظيفة دلالية على نوعية هذا الكتاب.

1.2 دلالة عناوين الحكايات:

العنوان هو أول العتبات التي تثير انتباه المتعلم، فهو يحتل واجهة الصفحة، وله دور في نقل الطفل إلى عالم متخيل، ويوجهه إلى تأويل النص، هذا ويعرفه جيرار جينيت بأنه "عبارة عن نص ابتدائي أو سابق ينتجه المؤلف أو غيره والذي يُعتبر كخطاب منتج للنص يتبعه أو يسبقه"[4]، ومن ثمّ فالعنوان خطاب ثان، وخطاب واصف للنص، يحمل دلالة شعرية على رأي جينيت الذي اعتبَره "عقدا شعريا بين الكاتب و الكتابة من جهة، وعقدا قرائيا بينه و بين جمهور قرائه من جهة، وعقدا تجاريا /إشهاريا بينه و بين الناشر من جهة أخرى"[5]، إذن فالعنوان عقد متعدد الأوجه.

وأول ما نصادفه عند قراءة عناوين الحكايات التي يحويها الكتاب هو وجود عناوين تشد انتباه المتعلم وتغريه بالقراءة مثل أنا لست أنانيا- الوعد هو الوعد- ختان زهير- محمول جدتي- مرض معد- كم أحب الموسيقى- الرسام الماهر- المخترع الصغير- كما أن أغلب عناوين حكايات الكتاب من محيط المتعلم، وتتسم بالإيحاء والإيجاز والتكثيف، فأغلبها مركب من كلمتين فقط.

3.1 دلالة الرسومات المصاحبة للحكايات:

الرسومات المصاحبة لكل نص هي تخييل، واستعانة بالبصر لأجل كشف خفي لأجواء الحكاية.

فالرسم كتابة بالألوان، ويمكننا أن نعتبر أن الرسومات الفنية المصاحبة لكل حكاية كتابةٌ أو نصٌ يحتاج إلى تأويل وتفسير كأي عمل إبداعي آخر، وهذا ما نجده في كتاب السنة الثالثة، إذ تحتوي كل حكاية على رسومات توضيحية شارحة لمضمون الحكاية، لأن الصورة حتى في الرواية تكاد تكون ضرورة أدبية ونقدية في السنوات الأخيرة، نظرا لبعدها الدلالي والنقدي الخادم للنص، فللكتابة اللونية قدرة على ممارسة كل ما يمكن أن تمارسه اللغة من شرح وتفسير وتعليق[6].

4.1 دلالة الألوان:

للألوان دلالات روحية، لأن لها لغة لا تُدركُ إلا من خلال الروح، فالروح تفرح وتنقبض وتُثارُ وتنفعل وتشتهي نتيجة رؤيتها للون معين، مما يعني أن هناك نوعاً من الإدراك الروحي لهذه الألوان، فتتفاعل الروح مع ما تشاهده منها[7].

بالنسبة للألوان في كتاب السنة الثالثة نجد حضورا للأخضر والأحمر والأزرق والبني والأبيض والأسود، وحضورا أقل للون الأصفر والبنفسجي.

اللون الأخضر يعد من الألوان الباردة، كما يعتبر دليلا على النماء، فهو لون الخصب والرزق في اللغة العربية، كما يعد لون الجنة، ولون الغضاضة وعدم النضج، لهذا نجده طاغيا ومرافقا لكل الحكايات في الكتاب ممثلا للملابس والطبيعة والعلم الوطني، حاملا دلالة على الوطن والبيئة والطبيعة.

أما اللون الأحمر فهو لون من الألوان الساخنة فاقع حيوي، يأخذ أهمية في الحياة الإنسانية لارتباطه بالدم؛ وبتحريك الانفعالات القوية.

هذه المزاوجة بين اللونين الأساسيين الأحمر والأخضر في الكتاب هي تواصل بين لونين منتجين لتلوينات لا حصر لها، في محاولة لتأصيل المرئيات التي تتفاعل بداخلها، حيث يمثل الأحمر جزء من حركية الحياة والرغبة والاستمرارية، بينما الأخضر هو لون الحياة ذاتها.

2. الوظيفة الدلالية لأسماء الشخصيات:

من الضروري العناية بأسماء الأعلام في الحكاية الموجودة بالكتاب المدرسي، وذلك نظرا للوظيفة الجوهرية التي يلعبها اسم العلم في أي لغة، إذ يشكل قدرا كبيرا من مجموع مفردات اللغة الواحدة، كما أنه يخلف آثارا في "العوالم التخييلية" من حيث هو أداة إحالية متصلة بالعالم، أو ما يثيره في نفسية المتلقي من مشاعر وذكريات معينة[8].

وجدير بالذكر أن مقاربة أسماء الأعلام قد تناولتها مجالات معرفية عديدة جعلته موضوعا لها، كالمنطق والتداولية والسيميائية واللسانيات الطبيعية، ومن بين المهتمين بهذا التحديد نجد:[9]

أ- **كريبكيساوول:** يشكل اسم العلم عنده وسيلة لتعيين المشار إليه فقط، لا وسيلة للإحالة على المواصفات الخارجية، فإسم العلم لدى كريبكي يمتلك خصائص جوهرية تحدد هويته التلفظية.

ب- **التداولييون:** يربطون بين اسم العلم ومجموع الشروط المحيطة به، وبالتالي فإن اسم العلم يملك سلطة محددة في سياقات محددة وشروط معللة، وليس مجرد أداة تعيين.

ج- **السيميائيون:** يقوم اسم العلم عند السيميائيين على أسس محاكاتية، وهو نسق معلل له وظيفة تشخيص الشيء كما هو.

أسماء الأعلام الموجودة في الحكايات تراوحت بين الأسماء القديمة مثل: حميد- زهير- مروان- ذهبية- حمدي- لونيس- رمانة- أمينة- حسن..، والأسماء الحديثة مثل: رسيم- نزيم- سيرين- وسيم- رزان...

وهذا التنوع في أسماء العلم يحمل وظيفة دلالية تعزز قيمة الانتماء، حتى لا ينفصل الطفل المتعلم عن ماضي مجتمعه ولا عن حاضره.

أما عن دلالات اسم العَلم الشخصي فهي كثيرة، ومن أهم الدلالات السيميائية في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة نجد:

أ- الدلالة الاعتباطية:

وهو أن يُوَظّف اسم العَلَم الشخصي بشكل اعتباطي عشوائي عام، وتكون دلالته غير مقصودة، أي ليس ثمة أي رابط سببي قصدي بين الشخصية والاسم الموضوع لها، فلا نجد أي دلالات لاسم العلم داخل "النص الحكائي"[10].

ب- دلالة المطابقة:

وتكون حين يدلُّ اسم العَلم على الشخصية دلالة إحالة واستغراق وتطابق، وذلك على مستوى صفات الشخصية ومزاياها، فيُعبر اسم العلم عليها بوضوح وجلاء تعبيرا شاملا وكليا[11]. ولم نجد هذه الدلالة المطابقة إلا في اسم شهاب في حكاية المخترع

الصغير، واسم ماهر في الرسام الماهر، واسم عبد القادر في حكاية خدمة الأرض، واسم رشيق في رشيق يحب الرياضة.

ومن الملاحظات التي نستنتجها من خلال إحصاء أسماء الأعلام الموجودة في الحكايات نجد:

- أغلب أسماء الأعلام الموجودة في الحكايات ذكورية.

- أغلب أسماء الأعلام عربية عدا اسم جون وأوكوث.

- بعض الشخصيات تحلُّ صفاتُها أو وظيفتها محلَّ أسمائها، مثل: الجدة- الجد- الأخت- الأم- الأب- المرأة- طبيب- أستاذ- التاجر- جار- فلاح- السائق- نملة- فراشة- جمل....

أما بالنسبة للشخصيات فهناك شخصيات تخييلية وشخصيات حقيقية، مثل: عمر ياسف- بيتهوفن- موزار- زرياب- عباس بن فرناس- الأخوانرايت...

3- دلالات الفضاء المكاني:

الفضاء المغلق: هو الفضاء الذي حُدِّدَت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت، والمدرسة، والقسم.

الفضاء المفتوح: على عكس الفضاء المغلق نجد الفضاء المفتوح، فهذا الأخير يحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع، وفي تفاعل العلاقات الإنسانية والاجتماعية مع المكان، فهو –أي الفضاء المفتوح- ذو مساحة هائلة توحي بالمجهول، كالبحر، والصحراء، أو ذو مساحة متوسطة كالحي أو القرية، أو المدينة[12].

إن هذه الفضاءات على اختلافها من حيث انغلاقها أو انفتاحها أو هندستها، ومن حيث نوعية الأشياء التي توجد فيها وتشكلها، تكوّن **وظائف دلالية** داخل الحكاية.

ومن الطبيعي أن نجد فضاءات لها خصوصية تجعلها مادة أساسية في الحكاية، كالبيت والقسم مثلا، لارتباط الطفل بهما.

4. الوظائف الدلالية الكلية:

أ- **وظيفة تعزيز القيم:** لأجل إبراز القيم الدينية والاجتماعية والعادات الجزائرية، خصوصا ما يتعلق بالأسرة والتركيز على شخصيتي الجد والجدة.

ب- **الوظيفة المعرفية:** حيث أنه مطلوب من الحكاية في الكتاب المدرسي أن تركز على تقديم ما يدعم الدرس من لغة وتراكيب وصرف ورصيد لغوي.

ج- **الوظيفة الثقافية:** إذ أن الحكاية تقدم الكثير من المعلومة عن الماضي والحاضر، وعن بيئات أخرى لم يتعرف عليها بعد.

د- **الوظيفة الفنية والترفيهية:** وهذا عامل مهم في تنمية خيال المتعلم ودعمه.

خاتمة:

يمكننا أن نقول إن الحكاية في كتاب السنة الثالثة ابتدائي حملت مجموعة من الوظائف الدلالية التي تخدم الطفل اجتماعيا وتربويا، غير أنها لم تحمل ما يثير ويحفز خياله ليبدع ويقدم الجديد، كما أنها لم تعبر عن شريحة واسعة من المجتمع الجزائري الذي يعيش في الجزائر العميقة.

إن المطلوب من الحكاية أن تنمي خيال الطفل، وتثري تفكيره، بقدر ما تعلمه وتصلحه اجتماعيا، ليندمج ويكون طرفا فاعلا.

قائمة المصادر والمراجع:

1- جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي، المغرب، ط1، 2011.

2- حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد- فوضى الحواس- عابر سرير)، منشورات مخبر تحليل الخطاب والأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط.

3- عبد الحق بالعايد، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف ودار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ولبنان، ط1، 2008.

4- ضاري مظهر صالح، دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي، دار الزمان للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2012.

5- عثمان الميلودي: العوالم التخييلية في روايات إبراهيم الكوني، بحث في الطبيعة والمحتويات والأسلوب، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2013.

6- - مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2011.

*** *** ***

الهوامش:

1- عبد الحق بالعايد، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف ودار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ولبنان، ط1، 2008، ص 14.

2- حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد- فوضى الحواس- عابر سرير)، منشورات مخبر تحليل الخطاب والأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2012، ص45.

3- المرجع نفسه، ص48.

4- المرجع نفسه، ص 48- 49.

5- المرجع نفسه، ص 49- 50.

6- نفس المرجع، ص 58.

7- ضاري مظهر صالح، دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي، دار الزمان للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2012، ص .162

8- عثمان الميلودي: العوالم التخييلية في روايات إبراهيم الكوني، بحث في الطبيعة والمحتويات والأسلوب، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2013، ص 175.

9- الأمثلة الثلاثة الآتية عن: المرجع نفسه، ص 175- 176.

10- جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي، المغرب، ط1، 2011، ص 383- 384.

11- المرجع نفسه، ص 380.

12- مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2011، ص 95.